

٢- الحركة النهلستية

ومصرع القيصر اسكندر الثاني

صفحة رائعة من صحف الثورة على الطغاة

للأستاذ محمد عبد الله عنان



اعتزم القيصر شهود حفلة الاستعراض العسكرية في ميدان ميخايلوفسكي كما قدمنا ، وقام البوليس بأخذ الاجراءات المعتادة لحافطة على سلامة القيصر فزار الشوارع التي يمر بها الركب لكي ؛ وكان ثمة في شارع « مالايا سادوفيا » حانوت لبان تتج هنالك منذ ثلاثة أشهر يديره شخص يدعى كوبوزيف وزوجه ؛ وكان البوليس يشتبه في أمر هذا الحانوت وأمر صاحبه ، إره في عصر يوم السبت بحجة التفتيش الصحي فلم يجد فيه ريب ؛ ولم يكن كوبوزيف في الواقع سوى عضو من أعضاء لجنة التنفيذية وضعت اللجنة هنالك ليكون عوناً لها على التنفيذ . واعتزمت اللجنة الثورية من جانبها أن تنهز هذه الفرصة فيذ قرارها باغتيال القيصر ففادرت ييروفسكيا مسكنها وذهب مايف إلى حانوت كـوبوزيف ليضع لهما قوياً تحت شارع ماليا سادوفيا » وأنفق كباتشيتش وهو عضو اللجنة المتخصص ، صنع القنابل طول الليل في منزل فبرا فنجر مع جرائنفسكي ييروفسكيا ، ولم يأت الصباح حتى تم صنع قنابل أربعة حملها كباتشيتش وييروفسكيا . وفي صباح يوم الأحد أول مارس عت صوفيا القنابل الأربع على أربعة من الشبان القدائين جرنففسكي واميليانوف وميخايلوف وريسا كوف وعمره تسعة لس عاماً فقط ؛ وتفرق الأربعة في نقاط أربع عيت في خريطة تنفيذ حول منعطف نفسكي والطرق الفضية إليه . وفي الساعة بانية بعد الظهر كان كل في مكانه المين ينتظر إشارة صوفيا رقت صوفيا مدى حين رقب ميدان الاستعراض عن بعد . سكنها ما لبثت أن علمت أن الركب الملكي لن يمر بالشارع الذي نفع فيه اللغم ، فسارت عندئذ صوب منعطف نفسكي في اتجاه

جرنففسكي وأخرجت مندبيلها ، ففطن القتيان إلى إشارتها وساروا تبعاً صوب قناة سانت كاترين لمقابلة الركب الملكي ، واستولى الفرع على أحدهم وهو ميخايلوف فانسلف واختفى في آخر لحظة ، وبقي الثلاثة الآخرون يرقبون الانذار الأخير .

وذهب القيصر إلى ميدان الاستعراض نحو الظهر . ولما انتهى الاستعراض ذهب إلى قصر ميخايلوفسكي القريب حيث تناول طعام الغداء مع الجرائندوقة كاترين ميخايلوفنا ؛ وفي الساعة الثانية وبضع دقائق انتظم الركب الملكي للمودة ، وأمر القيصر سائق مركبته أن يعود إلى قصر الشتاء من نفس الطريق . وكان يحرس العربدة الملكية ستة من الفرسان القوزاق وتبعها عربية أخرى يقف فيها مدير البوليس ، ثم ثلاثة بها ضباط الحاشية . وسار الركب مسرعاً في شارع انجنزنايا ، مجتنباً بذلك شارع ماليا سادوفيا (الذي وضع به اللغم) ثم انجه يمينا إلى جسر قناة القديسة كاترين ؛ وكان المكان فقراً ليس فيه غير رجال الشرطة والمخبرين الذين ينشرون على طول الطريق وسوى قليل من المارة . بيد أن الركب ما كاد يقترب من جسر القناة حتى دوى انفجار هائل وانمعدت فوق الموكب سحابة من الدخان الكثيف ، وكانت هذه قبلة ريسا كوف انفجرت وراء العربدة فأتلقت مؤخرتها ؛ وفي الحال أوقف السائق العربدة ونزل القيصر منها سالماً وكان قد سقط على مقربة منها قوزاقي وثلاثة من الشرطة وغلالم من المارة مصابين بجراح بالغة . وقاد رجال الشرطة صوب القيصر فتي عريض الحيا غائر العينين هو ريسا كوف ، فسأل القيصر : أهو الفاعل ؟ وفي تلك اللحظة سأل أحد كبار الضباط : « هل جرح صاحب الجلالة ؟ » فأجاب القيصر : « شكر الله فاني سليم معافى » وهنا قال ريسا كوف : « لانتجل بشكر الله » وسار القيصر ومن حوله الحاشية إلى مكان الانفجار ليرى الجرحى ولكنه ما كاد يسير بضع خطوات حتى دوى انفجار آخر وانكشف النبار والدخان عن منظر مروع :

سقط القيصر صريعاً وقد كسر ساقاه ، وبقر بطنه ، واحترق وجهه ، ومن حوله عدة من الجرحى . وفي الحال حمل القيصر مضرجاً بدمائه إلى قصر الشتاء ، ولكنه زهن بعد ذلك بقليل دون أن يعود إلى رشاده أو يفوه ببنت شفة . وعثر رجال البوليس بين الجرحى على الفتى الذي ألقى القنبلة

تسهيله بالاعتذار عن مخاطبته في تلك الآونة الدقيقة « إذ يوجد ما هو أسوأ من أية عاطفة بشرية وهو الواجب نحو الوطن ثم يقول فيه : « إن المأساة الدموية التي وقعت على جسر ترعة سانت كاترين لم تكن حادثاً غامضاً غير متوقع ، بل كانت بعد كل ما حدث في الأعوام العشرة الأخيرة قضاء محتوماً ، وهذا ما يجب أن يفهمه الرجل الذي أُلقي إليه القدر مقاليد الحكم . ولقد تمت الحركة الثورية واشتد ساعدها بالرغم مما اتخذ من إجراءات القمع الدريع ، وبالرغم من أن حكومة القيصر الراحل قد ضحت بحريات كل الطبقات ومصالحتها ولم تدخر وسعاً في ازهاق المجرم والبري وفي تدمير السجون النائية بالمعتقلين . ولقد شنت عشرات ممن يسمونهم بالمحرضين فتاوى هددوا الشهداء . ولم تقف الحركة الثورية بل استمرت قوتها في ازدياد . أجل يا مولاي إن الحركة الثورية لا تتوقف على إرادة الفرد ، بل هي عملية تقوم بها الاداة القومية ولن تنتج الشانق التي تقام لصفو قادة هذه الحركة في إنقاذ النظام السياسي المحكوم عليه ، كما أن صلب السيج لم ينجح في إنقاذ العالم القديم الفاسد من ظفر النصرانية المصلحة

« ونحن أول من يعرف كم يحزن ويؤسى أن تبدد هذه المواهب والمزائم كلها في أعمال التخريب ، فهذه القوى يمكن في ظروف أخرى أن تستخدم في عمل الانتاج : في تربية الشعب وفي تثقيفه ، وفي زيادة رفاهته وتحسين نظمه ؛ فلماذا إذن نلجأ إلى خوض هذا النضال الدموي ؟

« لأنه لا توجد لدينا يا مولاي حكومة بمعنى الكلمة وواجب الحكومة هو أن تعبر عن أمانى الشعب وأن تمثل إرادته ولكن الحكومة عندنا قد انحطت إلى عصابة قصر ، وغدت أحدهم من اللجنة التنفيذية بأن توصف بعصابة من الغاصبين »

وتستعرض اللجنة بعد ذلك مطالب الحكم القيصرى وإمعا في استعباد الشعب وتسخيره ، وما جلبته هذه السياسة على روس من الخراب والبؤس وما ترتب عليها من فقدان الحكومة لكر نفوذ معنوى . وهذا هو السبب في اضطراب الحركة الثورية ، وهذا هو السبب في ابتهاج الشعب لازهاق القيصر ثم تقول :

« ولا نخرج لهذه الحالة سوى أمرين : فاما الثورة المحتومة التي لا يمكن أن ينتمها أى قمع ، وإما التوجه إلى سلطة الآء

الثانية ، وكان في دور النزاع وتوفي بعد ساعات قلائل دون أن يروج باسمه للمحقق . ولكن البوليس وقف على اسمه بعد ذلك وقد كان أجناتوس جرنفتسكى الثورى البولونى وأحد القديسين الأربعة . أما الرابع وهو أمليانوف فقد اختلط بالناس واستطاع الفرار واعترف ريسا كوف بالقاء القنبلة الأولى ، وشرح للمحقق سيرته فذكر أنه طالب بمدرسة المناجم وعصو في حزب « إرادة الشعب » ، وأنه يشتغل بيت الدعوة الثورية بين العمال وقدم بعض تفاصيل عن الثأمة وتديرها ولكنه لم يُعرف عن أحد من زملائه . وفي ساعة متأخرة من الليل واجهه المحقق بجليانوف ، فغياه جليانوف بحرارة ؛ ولما علم بمقتل القيصر أبدى ابتهاجه ، وقال إنه وإن لم يشترك بنفسه في تنفيذ الحادث بسبب اعتقاله فإنه يشترك فيه بكل قلبه ، وأنه اشترك في عدة محاولات سابقة لاغتتيال القيصر ، ولم يمنعه من الاشتراك في قتله سوى مصادفة سخيصة ، ولذلك فهو يطلب أن يحاكم مع ريسا كوف وسوف يتولى للمحقق بكل ما يثبت مسؤوليته .

ولم يمض يوم آخر حتى استطاع البوليس أن يظفر بآثار المهربين . وفي مساء نفس اليوم هاجم مركزهم في شارع تالينايا فانتحر صاحب الدار وهو ثورى يدعى سايلين قبل دخول البوليس وقبض البوليس على صاحبه المدعوة جسيا هلقان وضبط لديها بعض القنابل . وقبض في صباح اليوم التالى على ميخايلوف ، ولاحظ البوليس في الوقت نفسه أن حانوت البان في شارع مالاياسادوفيا قد أغلق واختفى صاحباه ففتش الحانوت مرة أخرى فاكشف فيه سرداباً خفياً يصل حتى منتصف الشارع وقد وضع فيه لثم ثبت بسلك رفيع إلى آلة كهربائية ؛ وفي يوم ١٠ مارس استطاع البوليس أن يقبض على صوفيا يروفسكايا وكانت لا تزال محتفية في العاصمة ترقب الحوادث ، فاعترفت في الحال باشتراكها في مقتل القيصر واشتركتها في حادث القطار الملوكى . وهكذا استطاعت الشرطة أن تضع يدها على جميع الجناة ولم يفلت من يدها سوى أمليانوف الذى اختفى عقب الحادث ولم يعترف أحد عليه .

— ٣ —

وفي نفس اليوم الذى قبض فيه على صوفيا يروفسكايا أعنى في يوم ١٠ مارس ١٨٨١ وجهت اللجنة التنفيذية لحزب إرادة الشعب إلى القيصر الجديد — اسكندر الثالث — كتاباً صافياً